الطبيب الساحر في مصر وأفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ(*)

د. زينب عبد التواب رياض خميس
مدرس أثار مصرية – كلية الآثار
جامعة أسوان

ملخَّص الدِّرَاسَة

يعد موضوع الطب والعلاج البدائي من أهم الموضوعات التي ارتبطت بالسحر في عصور ما قبل التاريخ، ولذا يصعب دراسة الموضوع الأول دون دراسة الموضوع الثاني، ولاشك أن الوسيط بين الموضوعين والعامل المشترك بينهما هو طبيب القرية أو ساحر القرية أو العراف "الشامان"، وجميعها مسميات للقائم بعملية المعالجة والمداواة، والذي كان في البداية يعتمد على السحر والإيحاء قبل الاعتماد على المداوة بالعلاج والجراحة، وإن كان هذا لا ينفى معرفة إنسان عصور ما قبل التاريخ للعمليات الجراحية البسيطة بل والقيام بها أحيانا كثيرة باستخدام بعض الأدوات الحجرية، ولقد ثبت ذلك من خلال الأدلة الأثرية والأدوات الحجرية التي عثر عليها في بعض المقابر والمواقع الأثرية.

فهناك أدوات كانت لا بد وأن تصاحب الطبيب المعالج في عصور ما قبل التاريخ، كان منها الأقنعة والقرون وبعض الأجزاء الحيوانية وبعض الأدوات الحجرية، وهي أدوات اقترنت منذ عصور ما قبل التاريخ بطبيب القرية وظلت تصاحبه حتى يومنا الحالي في العديد من القبائل البدائية بأفريقيا.

ومن ثم فالدراسة تُلقي الضوء على دور الطبيب الساحر في عصور ما قبل التاريخ، وتقدم إعادة تفسير للعديد من الأدلة الأثرية المرتبطة بهذا الموضوع، من وجهة نظر قد تكون جديدة ومختلفة الى حد ما، وذلك من خلال المقارنة بين ما عثر عليه من أدلة

(*) **مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٧٩) العدد (٥) يوليه ٢٠١٩.**

أثرية، وبين بعض الممارسات الحالية المشابهة لطبيب القرية أو الساحر في بعض القبائل البدائية الأفريقية حتى يومنا الحالي.

الكلمات المفتاحية:

(الطبيب، الساحر، العلاج الروحاني، أدوات طقسية، الأقنعة، رقص الغيبوبة، العقاقير، الجراحة)

Abstract

Medicine and primitive therapy are among the most important topics associated with magic in prehistoric times. Therefore, it is difficult to study the first subject without studying the second topic. There is no doubt that the common factor between both topics is the doctor village, or the Village Wizard, or "Shaman"; they are all names for the person responsible for treatment and healing. Medicine was initially based on magic before relying on medication therapy and surgery, although prehistoric man knew how to perform simple surgeries using some stone tools, and this was proven by archaeological finds and stone tools which were found in some tombs and archaeological sites. There are many tools that had been attached to the magician doctor in prehistoric times, including masks, horns, some animal parts, and some stone tools; these primitive tools were used in prehistoric times by the early doctor, and it is still used by primitive tribes in Africa. Thus, the study sheds light on the role of the magician in prehistoric times to provide a reinterpretation of many of the archaeological finds associated with this subject. The study also compares the findings of archaeological evidence with some similar current practices, which is followed by the village doctor or magician in some African primitive tribes.

Key words: Doctor, magician, spirituality, ritual instruments, masks, unconsciousness, drugs, surgery.

Key words:

(Doctor, magician, spirituality, ritual instruments, masks, unconsciousness, drugs, surgery).

مقدمة

إذا ما رغب المرء في رؤية الماضي فما عليه الا أن يتصفح مواقع عصور ما قبل التاريخ بمصر والقارة الأفريقية، ويتأمل عادات وتقاليد بعض القبائل البدائية التي لا زالت تمارس الكثير من الموروث الغائب، وتعيش حياة إنسان عصور ما قبل التاريخ بكل مفرداتها؛ سواء في المأكل، أو الملبس أو حتى الطب والعلاج.

نشأت المداواة مع الألم، والألم من الأمور التي لا بد وأن لازمت الإنسان منذ ولادته، ومن ثم تفنن الإنسان في المعالجة منذ بداية آلامه في الغابات والبراري، واعتمد في ذلك على التجربة والملاحظة (Sutcliffe, J., 1992, pp.10-11) ولقد حاول الإنسان منذ فجر التاريخ أن يعالج نفسه بنفسه من الأمراض بتناوله ما قدمته له الطبيعة من حوله، ولا تزال بعض القبائل البدائية في أدغال أفريقية تحتفظ بأدويتها وعقاقيرها الخاصة بها تتوارثها جيلا بعد جيل بالخبرة والتجربة. (العلمي، ١٩٨٨، ص ١٥)

ولقد اقترن العلاج في عصور ما قبل التاريخ سواء في مصر أو أفريقي بممارسات عدة كان من بينها (تقديم الأضاحي والقرابين؛ استخدام التمائم وترتيل التعاويذ؛ استخدام الأعشاب ذات الروائح الكريهة النفاذة لطرد الأرواح الشريرة؛ استخدام الأقنعة لإخافة الأرواح الشريرة؛ واستخدام الأصوات العالية سواء بقرع الطبول والنفخ بالبوق أو التصفيق وإرسال الأصوات العالية والمزعجة) والتي توحي بالدخول في عالم من الغيبيات لا يخلو من رهبه. **ولكل طريقة من هذه الطرق دلائل تؤكدها:**

– **فتقديم الأضاحي والقرابين** ثبُت منذ عصور ما قبل التاريخ، وكان له في مصر مغزاه الديني والسحري (أمين، ١٩٨٧، ص ٤٩)، وكذلك الحال في

أفريقيا كان للقرابين أهمية كبرى في استرضاء الأرواح، فهي في اعتقاد الإنسان البدائي قد تكون السبب الرئيس لحدوث مرض ما، فبتقديم القربان يطلب الإنسان المعونة من الأرواح لتحقيق لشفاء مريض أو اتقاء شر. (علي، ٢٠٠١، ص ١٩٥-١٩٦).

- **وكان استخدام التمائم** أيضًا من الأمور المؤكدة لا سيما في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ، سواء في الحياة الدنيا أو بعد الموت، وكان له أغراضه السحرية والوقائية (محمد، ١٩٩٢، ص ٢٢-٢٣)، **أما عن استخدام الأعشاب والنباتات** ذات الروائح النفاذة فقد ثبت أيضاَ من خلال ما عثر عليه من أمثلة في بعض مقابر عصر ما قبل الأسرات في مصر، إذ عثر في احدى المقابر بجبانة المحاسنة على باقة من نبات الثوم وضعت برفقة صاحب المقبرة. (Aryton, 1911, p.21, 76).

- **وعن استخدام الأقنعة** فقد كان الاعتقاد بأن القناع يملك قوة خفية تنقل إلى من يرتديه الصفات التي يمثلها، نظرًا لطبيعة المساواة التي يحققها لبس القناع، واقتناع من يلبسه بأن القوى الخفية الخاصة بشكل القناع تحل فيه، وكان الغرض من القناع إما خلق الوهم في نفس من يشاهده، أو منح الشجاعة لمن يرتديه، وإخافة الأرواح الشريرة (عثمان، ٢٠١١، ص ٢٨-٢٩) وقد ثبت ذلك من خلال ما عُثر عليه من أقنعة طقسية في بعض المقابر المصرية، وفيما عثر عليه كذلك في العديد من المواقع الأفريقية، ففي جبانة نخن "هيراكونبوليس" HK 6 في جنوب مصر عثر في اثنين من المقابر على قناعين بهيئة آدمية صُنعا من الطين المختلط بالقش، كان أكثرهما تفصيلًا القناع الذى عثر عليه في المقبرة رقم ١٦ بالجبانة، والذى كان جزءًا من الأثاث الجنائزي بالمقبرة، اتخذ القناع شكلا بيضاويا ذا استطالة يتسع عند الجبهة ويضيق عند

الذقن، الجبهة تتراجع للخلف مما أعطى للقناع نوعًا من التقوس ربما ليسهل وضعه على الوجه البشري بانسيابية، ويلاحظ وجود ثقب على جانبي القناع خلف الأذنين، ربما كان يتم بواسطتهما تثبيت القناع على الوجه أثناء القيام بالممارسات السحرية. (Adams,1999, p.4)

– **أما عن استخدام الدق والتصفيق والرقص** فقد كان من أهم الأمور المصاحبة لممارسات الطقوس العلاجية، وقد ثبت ذلك من خلال الرسوم الصخرية التي ترجع الى نهاية العصور الحجرية والتي تؤرخ بنحو ثلاثين ألف ق.م، ومن خلال التقاليد الحالية الموروثة لا سيما في قبائل جنوب أفريقيا، التي حرصت على استخدام الطبول والقرع عند القيام بالممارسات الطقسية العلاجية. (Maggs, 1998, p.13)

الطبيب الساحر: لم يكن توصيف مهنة الطبيب في عصور ما قبل التاريخ بنفس توصيفها في العصور التاريخية وإنما اختلف عنها في الجوهر والمضمون، فطبيب ما قبل التاريخ هو المعالج الروحاني والساحر، وهو المسيطر على الأرواح الشريرة المسببة للمرض، أما في العصور التاريخية فدور الطبيب لم يتعدَّ الاختصاص الطبي العلاجي للمريض سواء بالتداوي أو الجراحة، ولقد استمر الدور الروحاني للطبيب في عصور ما قبل التاريخ على هذه الوتيرة حتى يومنا هذا في العديد من المجتمعات البدائية في قارة أفريقيا، ويمكن تكوين صوره واضحة عن الطبيب آنذاك من خلال الرسوم والنقوش الصخرية التي وجدت في العديد من المواقع الصخرية والكهوف. ولقد عرف العلماء الطبيب الساحر في عصور ما قبل التاريخ بـ "الشامان"، ويعتقد أن الشامانية كمنظومة علاجية قد نشأت في أفريقيا في نهاية العصر الحجري القديم (نهاية مرحلة الجمع والالتقاط) وبداية العصر الحجري الحديث، وقد ظهر بوضوح في الفن الصخري بجنوب أفريقيا، على الرغم من أنه لا يزال

هناك الكثير من الجدل حول التأريخ المحدد. (Ewis-williamts, 1993, p.288) والشامانية في أفريقيا تشتمل على مجموعة واسعة من المعتقدات والمبادئ وآليات العلاج التي مُورِسَت في القارة الشاسعة منذ آلاف السنين. ويستند نظام الشفاء في تاريخ طويل من الاعتقاد التقليدي بأن أرواح الأجداد موجودة باستمرار بين الأحياء وتتدخل في أعمالهم، ولذلك فإن دور الشامان هو التوسط في هذه الأرواح عندما يؤدي تدخلهما إلى مآسي داخل المجتمع. وعادة ما تأتي هذه الوساطة في شكل طقسي فريد من نوعه لكل ثقافة، بما في ذلك الأغنية، والطبول، والتصفيق، والرقص، والغيبوبة، واستخدام الأدوية، ومجموعة متنوعة من العروض الأخرى (Lahelma, 2008, p.51). ويتلخص دور الطبيب الساحر "الشامان" في تحقيق المعرفة والتواصل مع الأرواح، وصولًا في نهاية المطاف الى الشفاء، وهي رحلة طويلة وشاقة في كثير من الأحيان ويمكن تتبع مظاهرها من خلال ما يُقام به من ممارسات طقسية تدخل في إطار أنظمة الشفاء المختلفة التي تُمارس في العديد من المجتمعات الأفريقية الحديثة لا سيما في جنوب أفريقيا (Lahelma, 2008, p.51) . وتعد قبيلة البوشمن الموجودة بصحراء كلهاري من أكثر قبائل جنوب أفريقيا ممارسة للسحر والعلاج الروحي (Ewis-williamts, 1993, p.288) ولقد أثبتت العديد من الدراسات وجود علاقة وطيدة بين الرسوم الصخرية للبوشمن وبين ممارسات شامان البوشمن في القرن التاسع عشر. (Lewis-WilIiams, 1994, p.278)

الأرواح الشريرة والعلاج الروحاني

اعتقد إنسان عصور ما قبل التاريخ أن الأمراض التي كانت تصيبه لا بد من أن سببها الأرواح الشريرة، فكان لا بد له من اللجوء إلى السحر، والاستعانة بالتعاويذ والتمائم لطرد هذه الأرواح الشريرة التي كانت تسكن جسم

المريض، وترتب على ذلك ظهور السحرة والكهنة الذين استغلوا بساطة الإنسان البدائي فجربوا عليه مختلف أنواع الأدوية، ولتهدئة هذه النفوس والأرواح الشريرة التي طغت عليه وعلى حياته اضطر الإنسان القديم إلى تقديم القرابين إليها وحمل التمائم. كما لجأ إلى تغيير اسمه لخداع الأرواح الشريرة متوهما أن ذلك يساعده على التخفي والتخلص منها، وفريق آخر اعتقد أنه لو طلى الواحد منهم جسمه بألوان كثيفة ومختلفة تتصرف عنه الأرواح الشريرة فيصبح في مأمن منها، وهذا ما يُفسر سبب تخطيط بعض القبائل الأفريقية لوجوههم وأجسادهم. (العلمي، ١٩٨٨، ص ١٦).

وهكذا اقترن الطب بالسحر في عصور ما قبل التاريخ؛ سواء في مصر أو أفريقيا، فقد كان المصريون القدماء في العصور المبكرة يعتقدون أن المرض لا يعدو أن يكون سوى ظاهرة "ما فوق طبيعية"، أو بالتحديد إن روحًا شريرة (روح أحد المتوفين على سبيل المثال) قد استولت على جسد إنسان ما من الأحياء واستحوذت عليه، ولذا كان للتمائم والتعاويذ السحرية أهميتها ودورها في القضاء على الآلام والأوجاع. (أحمد، ٢٠١٣، ص ١).

وأساس العلاج الروحاني أو "الشاماني" في عصور ما قبل التاريخ يتمثل في جذب الطاقة الروحية، واسترضاء الأرواح غير المرئية، فقد يشخص الطبيب الساحر "الشامان" السبب وراء مرض شخص معين إلى الأرواح الشريرة، ومن ثم يكون العلاج هو ضرورة إرضاء الروح غير الراضية.(Peters, 1989, p.118) ولقد عرفت مصر وأفريقيا ذلك النوع من العلاج منذ عصور ما قبل التاريخ. (D Forrest, 1982, pp. 199-200) ولقد أظهرت النقوش الصخرية في مصر والعديد من مواقع القارة الأفريقية تفاصيل ممارسات مثل هذا العلاج الروحي، ففي كهف السباحين بهضبة الجلف بالصحراء الغربية عثر على العديد من

المناظر التي عبرت عن حالات الانتقال الروحي بين الإنسان والحيوان في رحلة العلاج الروحي، وقد عبر الفنان عن ذلك برسوم تنوعت ما بين هيئات بشرية سابحة في الفضاء (شكل:١) وأخرى تتجه نحو حيوان صور بحجم كبير، وتلاعب بالألوان وقد تنوعت حركاتهم وأوضاعهم بما يوحي بقيامهم برقصات عشوائية، جعلتهم في حالة أشبه باللاوعي، ولقد أُرخت هذه المناظر بالعصر الحجري الحديث. (De Flers, 2005, p.54, fig.6) (شكل:٢) وفي شمال أفريقيا وضحت أيضا هذه الممارسات من خلال الرسوم والنقوش الصخرية بمنطقة تاسيلي بالجزائر (شكل:٣) وقد تميز الفن الصخري أيضا في سان بجنوب أفريقيا بتصوير الطبيب الساحر برفقة بعض المخلوقات الأخرى ذات هيئات تجمع بين البشرية والحيوانية، وحيوانات عديمة الرأس ووحوش وأشخاص تمثل الروح، في مسرحية استعراضية تُدخلك في طيات رحلة العلاج لتشاهد تفاصيلها. (Maggs, 1998, p.13-15) .

وعن مفردات العلاج الروحاني فقد ظهرت بوضوح لدى قبائل البوشمن بجنوب أفريقيا، فهناك تُؤدى طقوس معينة من قبل الطبيب الروحي" الشامان" في وجود مجموعة كبيرة من الرجال والنساء، يقومون بالرقص في حلقات حول النار على صوت الطبل والتصفيق والإيقاع الموسيقي فيما يُعرف بـ" الرقص الطقسي أو السحري(Peters, 1989, p.118)"، وتأكدت أدلة ذلك من خلال النقوش الصخرية التي عثر عليها في صحراء كلهاري بجنوب أفريقيا-Lewis) (WilIiams, 1988, p.21، واكتملت الصورة من خلال ما عثر عليه في غرب وشرق أوربا من أدوات موسيقية من عظام الطيور، وقرون ماشية استخدمت لإصدار أصوات، وهي تؤرخ بالعصر الحجري القديم الأعلى -Lewis) (WilIiams, 1994, p.286 ومن خلال هذه الرقصات المصحوبة بالدق والطبل

والتصفيق والأصوات المختلفة كانت تُؤدى مجموعة متنوعة من العروض لجلب الروح بقوة في وسط الناس بحيث تكون قادرة على المساعدة، هذه الأعمال توثق الارتباط الضروري بعالم الروح. (Hoppàl, 2013, p.31) وكان للدم دور وأهمية قصوى في طقوس وممارسات البوشمن، إذ كانوا يعتقدون أن رائحة الدم لها صلة بجذب الأرواح، ومن ثم اقترنت تلك الممارسات أحيانا بتقديم الأضاحي والذبائح، إذ اعتقدوا كذلك أن الشفاء الروحي والطاقة أو القوة الروحية إنما تكتمل بهذه الممارسات جميعا.(Peters, 1989, p.123)

العلاج الدوائي

أما بالنسبة للعلاج الطبي فقد جمع الطبيب الساحر "الشامان" فيه بين المكونات المادية والطاقة الروحية، فمن خلال تأثير الأدوية التي غالبًا ما تتضمن (مواد من أصل حيواني ونباتي وأصل معدني ومواد عشبية) تأتي القيمة الطبية (Podolecka, 2016, p. 147) ، ومن خلال الطاقة الروحية المستمدة من الوسيط الروحي الذي يفسر المرض تكتمل رحلة العلاج، حيث تُخْلَط القيمتان في واحد للحصول على العلاج المناسب، فإن العلاقة لا تزال تتكون من المفسر الذي يُخْبَر بطبيعة المرض من خلال التواصل مع الأرواح، والمُعالج الذي يرشده للدواء المناسب قد يحدث فصل بين الشخصين في بعض المجتمعات، وفي بعض المجتمعات الأخرى يكون هو نفس الشخص معالج ووسيط روحي معا.(Peters, 1989, pp.118-119).

بعض العقاقير البدائية (النباتية والحيوانية)

من النادر أن تجد في الممالك الحيوانية والنباتية والمعدنية شيئا لم يستخدمه الإنسان يوما ما عبر التاريخ الطويل لمعالجة أمراضه كمسحوق قرن غزال أو مخلب حيوان أسطوري، أو فضلات الكلاب الجافة حتى بول الأطفال

والإبل. (العلمي، ١٩٨٨، ص ١٦) ولقد استطاع الإنسان البدائي أن يكتشف بوسائله البسيطة وغريزته الفطرية البدائية عددا من المواد الطبيعية استخلص منها عناصر علاجية قوية المفعول، كما تمكن الإنسان الأول من أن يدافع عن نفسه ويحميها من الحشرات السامة والحيوانات المفترسة ويضمد جراحاته وكسوره (العلمي، ١٩٨٨، ص ١٦).

ولقد استخدم الإنسان المنتجات الطبيعية مثل النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة والكائنات البحرية بل والحشرات، في الأدوية لتخفيف وعلاج الأمراض منذ عصور ما قبل التاريخ، فقد استخدمت القبائل البدائية في الأمريكتين منذ وقت مبكر لدغات بعض أنواع النمل لحماية الجروح من العدوى؛ تُمسك النملة فوق الجرح حتى تعضه، حيث يمكن إزالة رأسها والسماح للقراضة أن تبقى باستمرار لإغلاق الجرح (Gudger, 1925, pp,1861-1864).

ويمكن تتبع الاستخدام البشري للنباتات كأدوية على الأقل منذ ٦٠٠٠٠ سنة، وبالطبع كانت الصدفة والتجربة وقتها هي المرشد، ولا شك أنه كان هناك آثار جانبية سيئة حدثت عند استخدام هذه المنتجات الطبيعية كأدوية، فقد شكل ذلك تحديا هائلا للإنسان في ذلك الوقت المبكر، فمن المحتمل جدًّا أنه قد استخدم أحيانًا عن غير قصد نباتات سامة أدت الى التقيؤ أو الإسهال أو الغيبوبة أو ربما حتى الموت، ومع ذلك فقد كان الإنسان في ذلك الوقت المبكر قادرًا على تطوير المعرفة حول المواد الصالحة للأكل والنباتات الصالح استخدامها كأدوية طبيعية، وفي وقت لاحق اخترع الإنسان النار، وتعلم كيفية صنع العديد من الأشياء وأنواع الأدوية الجديدة. (Haidan Yuan, 2016. P.1) وكان التأمل وشدة الملاحظة من أولى الأسباب التي دعت الإنسان البدائي إلى استخدام العلاج النباتي، فقد اعتقد الإنسان في عصور ما قبل التاريخ أن

النبات الذي تشبه جذوره شكل الإنسان –مثلا– لا بد من أن يشفي من جميع الأمراض، وأن ورقة نباتية تشبه الكبد تشفي من أمراض الكبد، وأن ثمرة نبات تشبه القلب فلا بد من أنها تنفع في معالجة القلب وأمراضه وانفعالاته، أما إذا اهتزت ورقة النبات بحركة معينة فلا شك من أنها تنفع في معالجة الرجفة، أما إذا نما النبات على الصخر فهو يفتت حصى الكلى والمثانة!! وكان من أهم النباتات العلاجية وأكثرها خطرا شجرة "السنكونا" التي يحوي لحاؤها مادة الكينين، الذي ما زال هو ومشتقاته حتى الآن مستعملا في معالجة مرض الملاريا وتخفيض درجة الحرارة. (العلمي، ١٩٨٨، ص ١٦-١٧) وربما كانت قصة الدواء الطبيعي (النباتي والحيواني) قد عُرفت في مصر منذ الألف الخامس ق.م (Subbarayappa, 2001, p.135) وإن كانت قصة ذلك غير واضحة المعالم، وكان من بين أهم الأدوية النباتية التي عُرفت في مصر نبات الثوم، ولقد كان نبات الثوم من النباتات ذات الرائحة النفاذة، والتي استخدمت لطرد الأرواح الشريرة، واستخدم أيضًا لطرد الثعابين والعقارب بسبب رائحته، وفي الطب يعتبر من مضادات البكتريا ويصلح لعلاج العديد من الأمراض. (مانكه، ٢٠٠٨، ص ١٤٦-١٤٧).

الطب التقليدي

ولقد اكتملت الصورة بشأن الطب والتداوي في أفريقيا من خلال الموروث الشعبي الذي لا زال متواجدًا لدى العديد من القبائل البدائية الأفريقية لا سيما في جنوب أفريقيا (Thornton, 2009, p.17) فمثلا تعتقد قبيلة خويسان بجنوب أفريقيا أن الأطفال يمكن أن يكتسبوا القوة إذا ما كان أول طعامهم من بيض النعام، وللطبيعة من حولهم دور في اكتساب الفرد صفات معينة صحية وجسمانية، فإذا ما ولد الطفل في وقت هبوب الرياح وسقوط الأمطار كان في

مقدوره أن يتحكم في سقوط المطر أو تغيير مسيرة حركة الرياح Low, 2014,) p.165, 169) وعن المعالج التقليدي في جنوب أفريقيا فهو من يمارس الطب الأفريقي التقليدي هناك (Akarowhe, 2018, pp.1-3) ، ويقوم بالعديد من الأدوار الاجتماعية والسياسية المختلفة في المجتمع كالرجم بالغيب وتضميد الجراح والعلاج الروحي (Podolecka, 2016, p. 147)، وهو أيضًا من المعالجين بالأعشاب ويُعرف باسم "sangomas " "سانجوماس". (Thornton, 2009, p.20)

العلاج الجراحي وأدواته

لا شك أن الإنسان طوال رحلته الأولى على سطح الأرض كان قد تعرض لحوادث أو أخطار أدت إلى حدوث إصابات أو كسور أو جروح، ولقد عرفت العديد من شعوب عصور ما قبل التاريخ إصلاح العظام المكسورة باستخدام المواد الطينية، إذ كانت تُغطَّى المنطقة المصابة بالطين حتى تصبح صلبة فيما بعد فيمكن للعظام أن تلتئم بشكل صحيح دون أي تدخل جراحي. (Gudger, 1925, pp,1861-1864) ولقد عُرفت جراحة الجماجم "ثقب الجمجمة أو نقبها" وشاعت سواء في العالم القديم أو العالم الحديث، واختلف تأريخ بدايتها من مكان الى آخر، وإن كانت الغلبة تُرجعها إلى بداية العصر الحجري الحديث إن لم يكن قبل ذلك، ففي شمال أفريقيا جاءت أدلة معرفة الإنسان لهذه الجراحة منذ نهاية العصر الحجري القديم الأعلى وبداية العصر الحجري الوسيط حيث مرحلة الجمع والالتقاط، إذ ثبت معرفتها في الجزائر منذ حوالي ١١٠٠٠ – ١٢٠٠٠ق.م (Petrone1, et al. 2015, p.1) ، وربما ترجع أول الأدلة الموثقة التي وصفت هذه العملية الى ٤٠٠٠ ق.م، أما الجماجم التي عثر عليها وبها آثار إجراء هذه العملية فيرجع أقدمها طبقا لما ذكره Assina إلى الألف التاسع ق.م (Assina, 2014, p. 2) (شكل: ٤) ولا زالت هذه الجراحة تُمارس حاليًا بين

بعض القبائل البدائية خاصة في وسط أفريقيا (Petrone1, et al. 2015, p.1) ويعتبر هذا الإجراء الجراحي بدائيًّا طارئًا يلجأ إليه عندما تصاب الجمجمة من جراء تلقيها ضربة أو حادثة معينة، لإزالة الأجزاء المصابة من الجمجمة وتنظيف الدم الجاري تحتها. (Dobanovački, et al. 2012, p. 28) ولقد أجريت دراسات عديده في قطاع عريض من الجبانات المصرية القديمة التي تؤرخ الفترة ما بين (٣٠٠٠ الى ٥٠٠ ق.م)، وزودتنا تلك الدراسات بمعلومات واسعه حول عمليات نقب الجمجمة، ولكن لم يكن من المعروف ما إذا كانت تلك العمليات نتيجة لأسباب مرضية أم لأسباب دينية. (Zabihyan, 2010, p.7)

وبالنسبة للأدوات المستخدمة في العمليات الجراحية في عصور ما قبل التاريخ، فقد تم التعرف على البعض منها من خلال ما عثر عليه في بعض الجبانات المصرية، وبدراستها ثبت قيام الطبيب المصري القديم في عصر ما قبل الأسرات بإجراء عمليات لعلاج أمراض المثانة، وهذا ما ذكره كلٌّ من Shokeir, & Hussein في دراسة أشارا فيها الى ثلاثة من الأدوات الحجرية صغيرة الحجم التي عُثر عليها داخل إحدى المومياوات التي تؤرخ بعصر ما قبل الأسرات، وكانت هذه الأدوات بمثابة أول أدوات حجرية استخدمت في الجراحة، وقد عثر عليها بين عظام الحوض لشاب كان قد عاش تقريبًا قبل حوالي ٤٨٠٠ ق.م، وكانت قد استخرجت من عظام منطقة الحوض، وعن وصف هذه الأدوات الحجرية فكانت أوزانها تتراوح ما بين ٣٠ و ٢٤ الى ١٢ جرام، وتراوحت أطوالها ما بين ٤,٥ و ٣,٤ الى ٢,٥ سم، إحدى هذه الأدوات كانت كمثرية الشكل والأداة الثانية كانت كروية الشكل والثالثة كانت مثلثة الشكل، وعثر على ثلاث أدوات أخرى من مومياء ترجع لعصر ما قبل الأسرات، كانت موجودة أسفل الظهر في مواجهة أول فقرات العظام القطنية (Shokeir, 1999, p.755)

ولقد كانت الأدوات الجراحية في البداية تصنع من الحجر، ثم تطورت صناعتها بعد ذلك وأصبحت تصنع من البرونز، وفي وقت لاحق صنعت من الحديد. (Dobanovački, et al. 2012, p. 28)

حقيبة وأدوات الطبيب الساحر

يمكن التعرف على أدوات الطبيب الساحر في عصور ما قبل التاريخ من خلال عادات الدفن غير المعتادة، والبقايا الأثرية التي عثر عليها في بعض المواقع، فالعديد من الشامان كانوا يحتفظون بحقيبة من نوع ما يحملون فيه تماثيل إلهية، وأدوية، وأدوات تُستخدم في ممارسات العلاج وتكون هذه الأدوات مصنوعة من خامات طبيعية مثل عظام الحيوانات، والأصداف، وغالبًا ما كان يستعمل عقد من خرز وودع مثقوب، وأحيانًا تكون معه أحشاء حيوان، وأجزاء من أشجار، وتماثيل، وأقنعه وما إلى ذلك، هذه الأشياء تُخبر المتصل بطبيعة المشكلة التي يعاني منها المريض، وما هي الخطوات التي ينبغي أن يتخذها الأقارب لعلاجه، أو ما إذا كان ينبغي عليهم القيام بطقوس معينة لاسترضاء أرواح الأسلاف (Podolecka, 2016, pp. 149-150). ولقد تأكدت طبيعة حقيبة الطبيب الساحر أيضًا من خلال ما عثر عليه في أحد المآوي الصخرية في وادي هونجروب – جنوب أفريقيا، إذ عثر على حقيبة جلدية لأحد الأطباء السحرة "الشامان" اشتملت على عقد من النحاس والحديد، وصدفة لحيوان رخوي وجزء من شكل حلقة صغيرة، تؤرخ تلك الحقيبة بالألف الثاني بعد الميلاد، ألا أنها تعد دليلاً مهمًّا على استمرار هذا الموروث الثقافي التقليدي في علاج المرضى منذ عصور ما قبل التاريخ حتى ذلك التوقيت. (شكل:٥) (Kinahan, 2017, p. 563, fig.8)

ولقد عثر على مثل هذه الأشياء في كهف بلومبوس بجنوب أفريقيا وهو يؤرخ بالعصر الحجري القديم الأوسط، عثر ضمن طبقاته الأثرية على العديد

من النصال الحجرية والمدببات، وأجزاء صغيرة من المغرة الحمراء تحمل زخارف محزوزة، وأدوات عظمية، وحبات من القواقع المثقوبة وهي أدوات ذات صبغة طقسية. (شكل: ٦) (Henshilwood, 2011, p.373)

واكتملت المعرفة حول الأشياء التي كان يستخدمها الطبيب الساحر في رحلة علاجه للمرضى من خلال ما عثر عليه في بعض المقابر، فكثيرًا ما عثر على مقابر آدمية غريبة وغير معتادة الظهور لا سيما في الجبانات المصرية المؤرخة بعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات، كان تفسيرها إبان الكشف عنها بسيط لا يحتمل أكثر من تأريخها ووصفها وصفًا صامتًا لا يسمح بمزيد من الافتراضات، ففي جبانة المحاسنة عثر في المقبرة رقم H23 على هيكل عظمى لرجل كان راقدًا في تابوت خشبي وإلى الغرب من هذا التابوت عثر على اثنين من الكلاب، كانا قد كفنا بالحصير، ورقدا على ظهريهما، بينما وضعت على رأسيهما أشياء تقارب في شكلها تقليد لحزمة ثوم مغطاة بالطفل الأبيض، زودت المقبرة ببعض الأدوات الحجرية والمتاع الجنائزي. (Aryton, 1911, p.21, 76) ومن الجدير بالذكر أن الثوم كان له أهمية عظمى في مصر القديمة، وقد عثر على حبات الثوم (فصوصه) في القبور منذ عصر ما قبل الأسرات، كما عثر على رؤوسه وعروشه وحزم منه مربوطة بالحلفاء وخيوط الكتان في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. (نظير، ١٩٧٠، ص ١٤٥)

وعن التفسير المحتمل لهذه المقبرة: فربما كانت هذه المقبرة لأحد عظماء الصيادين الذين كانت تسند إليهم مهمة مساعدة القوم في الحصول على الصيد الوفير، حيث إنه لم تدفن معه كلابه فقط وإنما أسلحته أيضًا... وربما هي مقبرة لأحد الصفوة، كأن يكون "عراف القرية" الذي يلجأ إليه القوم كطبيب

لشفاء المرضى، وربما أكدت حزمة الثوم "المُقلدة" ذلك الافتراض نظرا لارتباط الثوم بطرد الثعابين وطرد الأرواح الشريرة.

– وفى جبانة "نخن" هيراكونبوليس عثر في إحدى المقابر الآدمية على سكين من الصوان وبقايا عظام آدمية كانت منفصلة ومكدسة في شكل كومة، ولم يعثر على الجمجمة ولكن عثر على إناء فخاري وضع بديلا عنها، وأسفل الإناء عثر على السكين وبقايا شعر الرأس. (Friedman, 2004, p.8) المقبرة رغم بساطتها إلا أنها تعد من المقابر غير المعتادة، فما الداعي لأن تستبعد الرأس عن باقي الجسد وأن يستعيض عنها بإناء فخاري؟ لا شك أن هذا كان له غرض مقصود، **ولو وُضِعَت الافتراضات لكان بالإمكان قول إنه:** كان للرأس أهميتها، فهي جزء يعبر عن كل، ولو أُستُبْعِدت الرأس لما تمكنت الروح من العودة إلى صاحبها، فهي إذن دفنه ربما كانت طقسية شعائرية ضمن ممارسات معينة ارتبطت بالسحر في تلك الفترة، وربما كان لها صلة بأحد السحرة أو العرافين آنذاك، فقد يكون الغرض منها استبعاد الرأس تجنبًا لروح هذا الشخص الذي لم تُستبعد رأسه فحسب، وإنما أزيلت فروة رأسه وهو أمر غير متعارف عليه ضمن عادات الدفن آنذاك.

رحلة علاج الطبيب الساحر كما أظهرتها الرسوم الصخرية

تنوعت النقوش والرسوم الصخرية التي أظهرت الطبيب الساحر أو عراف القبيلة "الشامان" من حيث هيئته ومكانته وسط أفراد القبيلة، سواء في صحراوات مصر الشرقية والغربية (Suková, 2014, p. 4) أو في العديد من مواقع شمال ووسط وجنوب أفريقيا، ففي الصحراء الغربية جنوب غرب مصر عثر في أحد كهوف وادي كركور غرب العوينات (d’Huy, 2009, p.89) على العديد من الرسوم الصخرية لهيئات آدمية رسمت باللون الأحمر، صور البعض

منهم بأغطية للرأس من القرون الحيوانية (شكل: ٧) تؤرخ تلك الرسوم بـ ٣٠٠٠ ق.م. (Greer, 2007, p.1).

وعن تفسير تلك الرسوم فربما كانت الهيئات الآدمية ذات القرون الحيوانية هي الطبيب الساحر "شامان" أو عراف القرية ومن معه من أُناس يشاركونه رحلة العلاج الروحي من خلال الرقص السحري الذي يقومون به، تمهيدًا لدخوله عالم اللاوعي حيث مقابلة الأرواح والاندماج معها أو التحول إليها، لا سيما وأن المنظر صور مجموعة من الهيئات الآدمية تقف في حلقة أو دائرة أشبه، كل شخص منهم يؤدي بيديه حركة معينة توحي بوجود أصوات على إيقاع نغماتها تأتي الحركات بطريقة تلقائية.

وفي كهف الوحوش بهضبة الجلف بالصحراء الغربية عثر على مناظر عديدة تبين العلاقة بين عالم الموتى "الأرواح" وعالم الأحياء وذلك من خلال رسم الفنان أحيانًا للصورة وانعكاسها كما في (شكل:٨) الذي يُظهر هيئات آدمية صورت حول شق صخري، وأسفل هذا الشق رسم الفنان انعكاسًا للهيئات الآدمية المرسومة أعلى الشق وكأنها مرآة تُظهر انعكاس الصورة، وما كان ذلك الا تصويرًا لعالم الروح وعلاقته بعالم الأحياء. (De Flers, 2005, p.56)

ولقد جاء ضمن الرسوم الصخرية بكهف السباحين بوادي صورا بالصحراء الغربية ما عبر عن ذلك، من خلال ما صوره الفنان من هيئات آدمية بسيطة بالنمط الخطي، صورها وكأنها تسبح في الفضاء، جاءت تلك الهيئات الآدمية برفقة طبعة يد صورت بحجم كبير(Greer, 2007, p.2) (شكل:٩) وربما عبرت تلك الهيئات الآدمية عن الأرواح الهائمة التي يعبر خلالها الشامان أو الطبيب الساحر في رحلته كوسيط بين عالم البشر وعالم الروح، وربما كانت طبعة اليد المصورة بحجم أكبر من حجم الهيئات الآدمية؛

هي طبعة يد ذلك الشامان الذي كان دوره كان إيقاف غضب الأرواح الشريرة والتغلب عليها.

وفي شمال أفريقيا عثر على العديد من الرسوم الصخرية التي أظهرت بوضوح رحلة علاج الطبيب الساحر للمرضى من خلال الانتقال الروحي، ففي منطقة تاسيلى بالجزائر صُور "الشامان" في رحلة العلاج الروحي بسمات واضحة لا تخلو من غرابة (شكل: ١٠) برفقة الإله الذي عبر عنه الفنان بهيئة كبيرة الحجم بارتفاع يصل لحوالي ثلاثة أمتار، ولقد أظهرت تلك المناظر حركات معينة كان يؤديها الشامان توحي بنوع من الرهبة بما يؤكد التوظيف الروحاني للمنظر (TARA, 2009, p.10) . وفي جنوب أفريقيا يصور الفن الصخري في أفريقيا ما هو معروف في ثقافة سان اليوم باسم "الرقص العظيم"، رقص الغيبوبة الشامانية وهو إحدى الطرق المستخدمة في الشفاء، والحصول على الصيد الوفير (Bahn, 2015, p. 62) إذ يعد الرقص وسيلة لتخفيف حدة التوترات الاجتماعية، ووسيلة للتقرب من الأرواح في رحلة الشامان نفسها بين الوحوش وأرواح الأسلاف التي تتقابل مع الراقصين في رحلاتهم خارج جسمهم، وكلها من مسببات الشفاء (Podolecka, 2016, p. 147, 156) وفي صحراء ناميبيا الممتدة لمسافة ٢٠٠٠ كم بطول الساحل الجنوبي الغربي لأفريقيا (Kinahan, 2017, p. 555) ، عثر على العديد من الرسوم الصخرية التي أوضحت الشامان أثناء رحلة علاجه الروحاني للمرضى، وارتحاله في عالم الأرواح كوسيط في منظومة من تفاصيل تجمع بينه وبين العديد من الأفراد(Kinahan, 2017, p. 556, fig.2) . وأغلب النقوش الصخرية بجنوب أفريقيا تؤرخ بنهاية العصر الحجري فيما عُرف بعصر الجمع والالتقاط (Maggs, 1998, p.13-14). ومن كل هذه الرسوم الصخرية يتبين الارتباط بين

الدور الديني والسحري والاجتماعي للطبيب الساحر في أفريقيا "الشامان" خلال عصور ما قبل التاريخ (Ewis-williamts, 1993, p.277) .

قناع الطبيب الساحر "الشامان" وأهميته

ارتبط السحر بالدين خلال عصور ما قبل التاريخ ووضح ذلك جليًّا من خلال النقوش الصخرية سواء في شمال أو جنوب أفريقيا. (Smith, 1987, p.55) وقد لعب القناع لا سيما الحيواني دورًا مهمًّا في رحلة علاج الطبيب الساحر، وانتقال الروح منه إلى الحيوان الذي يرتدي قناعه أو العكس "التقمص والاندماج الروحي"، وعبر الفنان عن ذلك في العديد من النقوش الصخرية (Sirko, 1989, p.37) ففي هضبة "ميساك ميليت" بجنوب غرب ليبيا في شمال أفريقيا عثر على العديد من النقوش الصخرية التي أوضحت دور الطبيب الساحر وهيئته التي كان عليها، ففي أحد المناظر صور الطبيب الساحر "الشامان" مرتديًا جلد حيوان وقناع بهيئة رأس حمار، ومعه شخص آخر صُور بنفس هيئته. (Jolly, 2002, pp.89-90) وفي قبيلة "زولو" المجاورة لمنطقة "سان" الجنوبية عُرف دور الطبيب الساحر بوضوح، وهو نفس الدور الذي عُرف في سان "معالج القبيلة والوسيط الروحي" الذي يربط بين الأحياء وعالم الأرواح، وكثير ما صور بهيئة تجمع بين الآدمية والحيوانية تأكيدًا على قداسته وتبجيله. (Jolly, 2002, p.90)

وفي كيب الشرقية جنوب أفريقيا عثر على العديد من الرسوم والنقوش الصخرية التي أظهرت الطبيب الساحر في رحلة انتقاله الروحية أثناء قيامه بممارسات طقسية مرتديًا قناع بهيئة وعل، ويداه مشدودتان إلى الخلف بينما الرأس الى الأمام في مواجهة شخص آخر ربما كان المريض الذي يبغي هذا الساحر شفاءه. (شكل:١١) وفي منظر آخر بكيب الشرقية أيضًا نرى شخصًا

صُور واضعًا على ظهره جلد ظبي أو وعل جبلي صغير، تمهيدا لانتقال الروح بينه وبين هذا الحيوان في رحلة العلاج الروحي. (Jolly, 2002, pp.90-91) (شكل:١٢) هذا بخلاف العديد من المناظر الأخرى التي أظهرت بوضوح ذلك التحول الروحي والانتقال بالروح من عالم البشر إلى عالم الأرواح من خلال تقمص هيئات حيوانية معينة في إطار من الرقص الطقسي السحري.

أهمية اللون في العلاج

وضحت أهمية الألوان في مصر وأفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ، فللألوان تأثير نفسي وعضوي لا يمكن إنكاره (الرشيدي، ٢٠٠٤، ص ٢٢)، وثبت ذلك من خلال ما عثر عليه من رسوم صخرية في مصر والعديد من مواقع شمال ووسط وجنوب أفريقيا، هذا بخلاف ما عثر عليه من أجزاء من خامات طبيعية كانت مصادر أساسية لاستخراج الألوان مثل خام الهيماتيت الحديدي (الأكر) وأجزاء من ألوان ذات لمعه لافتة وذلك بالقرب من أنهار توين بزامبيا، استخدمت هذه الخامات في تلوين الأشياء والأجسام والأسطح، وعثر في صحراء كلهاري على العديد من الرسوم الصخرية التي تؤرخ بمرحلة الصيد والالتقاط، لونت بمثل هذه الأصباغ، وكانت أول النقوش الصخرية هناك قد أُرخت بـ ٧٠,٠٠٠ ق.م، ويمكن القول إن إنسان الهوموسابينس كان قد استخدم هذه الأصباغ لتلوين جسمه وتلوين رسوماته ومصنوعاته، وقد عثر على العديد من الرسوم الصخرية التي تؤرخ بالعصر الحجري القديم الأعلى في أفريقيا تؤكد ذلك (Wildgen, 2001, p.111) ولقد كان للطبيب الساحر ألوانه المفضلة المرتبطة بعلاج المرضى، فقد كان يستعمل خياله في خلق عالم يحيط به مستخدمًا ألوانًا معينة كان أهمها (الأبيض، الأزرق، الأصفر، الأسود والأحمر)، وهي من أول الألوان التي استخدمت لا سيما في جنوب أفريقيا،

حيث ظهرت هناك منذ حوالي ٥٠,٠٠٠ ق. م (Godlove, 2011, p. 9) وفي اعتقاد الطبيب الساحر أنه لو أُسيئ استخدام اللون أدى ذلك إلى ضرر بالغ. (Sirko, 1989, p.35).

وحول رمزية اللون في الطب الأفريقي؛ فالأسود والأحمر كانا يستخدمان لطرد ما هو سيئ من الجسم، وكذلك تقوية ومنع الجسم من الهجمات المستقبلية، من أجل استعادة الصحة الجيدة، وهذا أحد أهم المعايير التي يستخدمها الممارسون الزولو في تشخيص وشفاء المرضى. (Berglund, 1976, p.136) ويبين (شكل:١٣) جزءًا من منظر من جبل التنين في وادي هونجروب بسلسلة جبال دوروس بجنوب أفريقيا، حيث نرى هيئات مختلفة للشامان تنوعت بين ثنائية اللون، ومتعددة الألوان، وكأن الفنان أراد بهذا التنوع التعبير عن العالمين؛ العالم الواقعي والعالم الغيبي. (Kinahan, 2017, p. 556, fig.2) وكثيرا ما صورت الهيئات البشرية وقد زخرفت أجسامهم ولونت بما يشبه الوشم، وهي عادات لا زالت معروفة هناك حتى اليوم، ترتبط بمعتقدات عن إبعاد الأرواح الشريرة والحماية. (Kinahan, 2017, p. 557) .

الخاتمة وأهم النتائج

تعد مصر وأفريقيا بمثابة متحف مفتوح، وكتاب تتحدث صفحاته عن الحضارة الإنسانية بوجه عام، وحضارة إنسان عصور ما قبل التاريخ بوجه خاص، سواء من خلال الأدلة الأثرية، أو من خلال دراسة حياة القبائل البدائية الحالية، فمن هذا وذاك تم التعرف على طبيعة وتوصيف الطب ودور الطبيب الساحر أو الشامان خلال عصور ما قبل التاريخ.

إن الطبيب الساحر "الشامان" في عصور ما قبل التاريخ هو الوسيط بين عالم الروح، والمريض، وهو المعبر عن سبب المرض من خلال ما يأتي به

من أفعال، باعتبار أن لديه القدرة على عكس الآلام التي تسببها الأرواح لهذا المريض.

ارتبط التحول الروحي في رحلة علاج المرضى بارتداء الشامان لأقنعة وغطاء للرأس بهيئات حيوانية، حتى يتمكن بسهولة من الدخول في عالم الروح والتحول إلى عالم الآلهة دون معوقات وهذا ما أظهرته العديد من الرسوم الصخرية.

ارتبط السحر بالطب والعلاج خلال عصور ما قبل التاريخ سواء في مصر أو في أفريقيا، وثبت ذلك من خلال ما عثر عليه من أدوات حجرية صغيرة استخدمت في إجراء بعض العمليات الجراحية والتي كان أهمها عمليات المثانة، وعلاج كسور عظام الحوض وذلك منذ عصر ما قبل الأسرات.

كانت عملية ثقب الجمجمة "التربنة" من أولى العمليات الجراحية التي عرفها الإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ، وكانت تتم بغرض الشفاء من آلام الرأس أو عند إصابة الجمجمة بجروح أو كسور، وكان الاعتقاد بأن القيام بها يؤدي إلى الشفاء من خلال طرد الروح الشريرة وإخراج الدم الفاسد.

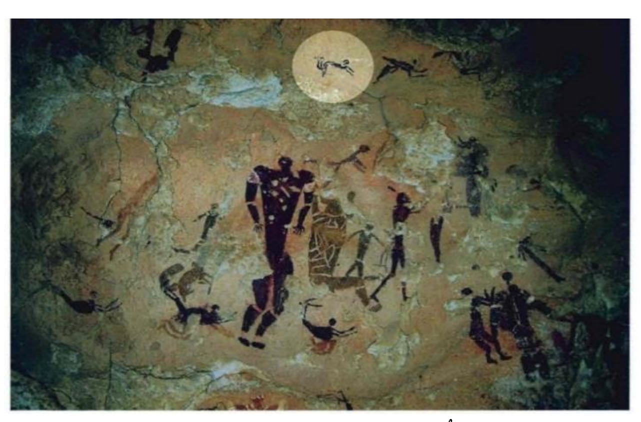
عبرت الرسوم والنقوش الصخرية عن الطبيب الساحر، وعن الممارسات التي كان يؤديها والتي كان من خلالها ينتقل من عالم البشر إلى عالم الروح الغيبي بتقمصه إحدى الهيئات الحيوانية حتى تحل روح السلف فيها، فيسهل بذلك مقابلته لأرواح الأسلاف واسترضائها حتى ترفع أذاها عن الشخص المريض.

استخدم الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ الدواء الطبيعي سواء النباتي أو الحيواني، واستخدمه في علاج الكثير من الأمراض معتمدًا على الخبرة والتجربة.

كان للون دلالته الرمزية في عقيدة الطبيب الساحر في العديد من المجتمعات الأفريقية منذ عصور ما قبل التاريخ، وكان الأبيض والأسود والأحمر والأصفر هي أكثر الألوان استخداما سواء في الرسوم الصخرية أو في الأغراض العلاجية لبعض الأمراض.

لا زال دور الطبيب الساحر "الشامان" معروفًا لدى الكثير من القبائل البدائية في وسط وجنوب أفريقيا وبعض المجتمعات الأخرى التي اعتبرت العلاج الروحاني من أهم طرق ووسائل الشفاء.

قائمة الأشكال



(شكل:١) – هيئات آدميةُ صورت كأنها "أرواح" تسبح في الفضاء– كهف السباحين هضبة الجلف الكبير بالصحراء الغربية

De Flers, P., & Le Quelle, J., 2005, fig.7.



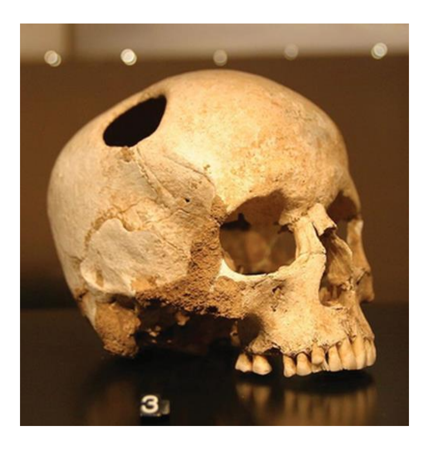
(شكل:٢) – منظر من كهف السباحين يبين مجموعة من الهيئات البشرية السابحة تجاه هيئة حيوانية

De Flers, P., & Le Quelle, J., 2005, fig.6.



(شكل:٣) – منظر لمجموعة من الشامان في رقصة طقسية – تاسيلي – الجزائر

Hoppàl, M., 2013, p.31, Fig. I.2.3.



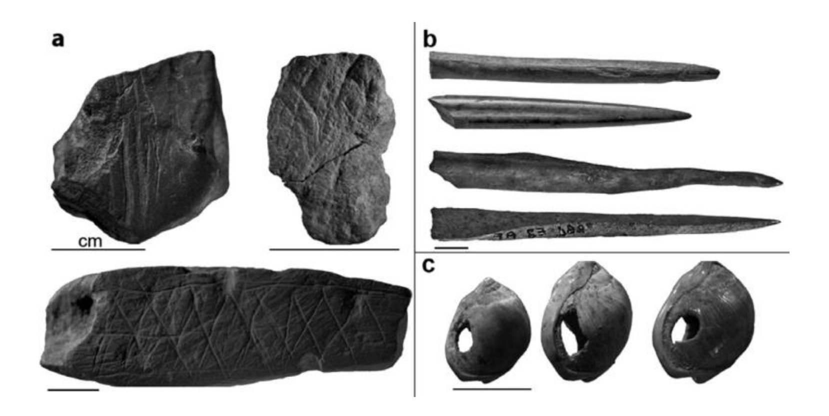
(شكل:٤) – جمجمة لسيدة أجريت لها عملية الثقب "التربنة" –٩٠٠٠ ق.م – متحف التاريخ الطبيعي في لوزان – سويسرا

Assina, R., et al. 2014, fig.1.



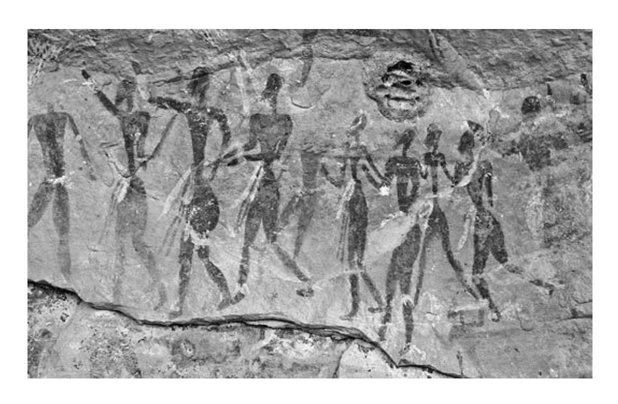
(شكل:٥) – حقيبة جلدية للطبيب الساحر اشتملت على عقد، وأصداف – مأوى صخري في وادي هونجروب – جنوب أفريقيا

Kinahan, J., 2017, p.563, Fig. 8.



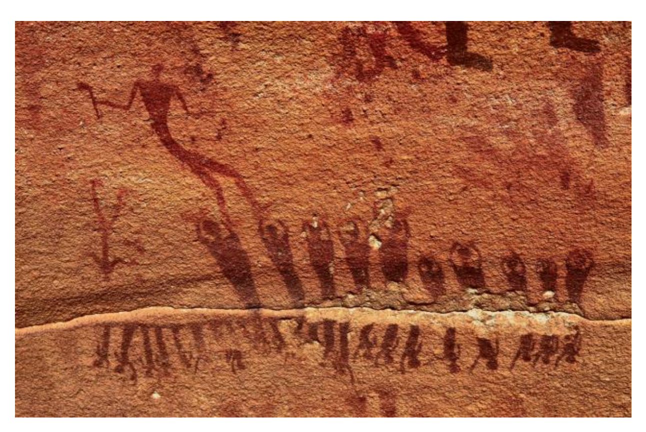
(شكل:٦) – أدوات عظمية وقواقع مثقوبة وقطعة من المغرة الحمراء – كهف بلومبوس – جنوب أفريقيا

Henshilwood, C. S., & Dubreuil, B., 2011, fig.5.



(شكل:٧) –هيئات آدمية ملونة بالأحمر– وادي كركور– الصحراء الغربية جنوب غرب مصر

Greer, M., & Greer, J., 2007, p.3.



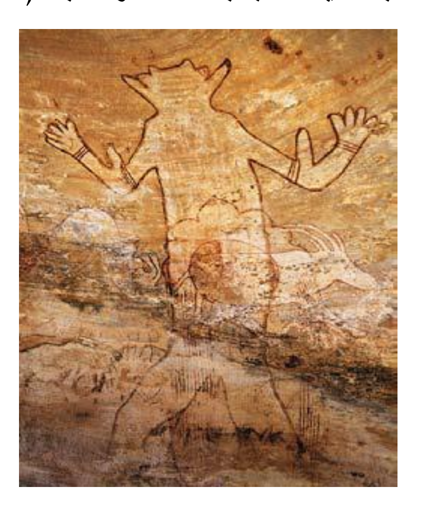
(شكل:٨) – منظر مرسوم حول شق في الصخر يبين الصورة وانعكاسها أو ربما يبين عالم الموتى وعالم الأحياء– كهف الوحوش

Bàrta, M., & Frouz, M., 2010, fig.14



(شكل:٩) –هيئات آدمية تسبح في الفضاء وطبعة يد بشرية – كهف السباحين – وادي صورا– الصحراء الغربية

Greer, M., & Greer, J., 2007, p.3.



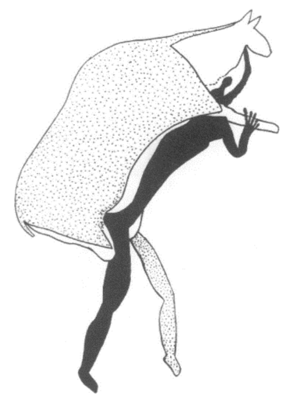
(شكل:١٠) – الإله في رحلة العلاج الشامانية – تاسيلي– الجزائر

TARA, 2005, p.10.



(شكل:١١) – الطبيب الساحر أثناء عملية الاتصال الروحي مرتديًا قناعًا بهيئة وعل– كيب الشرقية جنوب أفريقيا

Jolly, P., 2002, fig.10.



(شكل:١٢) - رجل حامل على ظهره جلد ظبي أو وعلاً جبليًّا في عملية انتقال الروح لهذا الحيوان – كيب الشرقية جنوب أفريقيا

Jolly, P., 2002, fig.12.



(شكل:١٣) – هيئات مختلفة للشامان تنوعت بين ثنائية اللون، ومتعددة الألوان– جبل التنين في وادي هونجروب بسلسلة جبال دوروس بجنوب أفريقيا
Kinahan, J., 2017, p.556, Fig. 2.

قائمة المراجع العربية والمترجمة

- أحمد، عبد المنعم سيد أحمد (٢٠١٣). الأطباء في مصر القديمة، المؤتمر الدولي الرابع بعنوان الفكر في مصر عبر العصور، المجلد الثاني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس.
- أمين، يسر صديق (١٩٨٧). قرابين الأضاحي في نصوص ومناظر الدولة الحديثة والعصور المتأخرة في مصر القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
- الرشيدي، تامر فؤاد أحمد فؤاد (٢٠٠٤). رمزية الألوان ودلالتها في العمارة والفنون المصرية القديمة حتى نهاية عصور الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
- عثمان، أسامة فريد مصطفى (٢٠١١). الأقنعة واستخداماتها في مصر الفرعونية، دراسة أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة المنوفية.
- العلمي، رياض رمضان (١٩٨٨). الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، الكويت.
- علي، جواد (٢٠٠١). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١١، بيروت، ٢٠٠١.
- مانكه، ليز (٢٠٠٨). التداوي بالأعشاب في مصر القديمة، ط٢، مترجم، القاهرة.
- محمد، إلهام حسين يونس (١٩٩٢). التمائم المصرية القديمة في الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
- نظير، وليم (١٩٧٠). الثروة النباتية في مصر القديمة، القاهرة.

قائمة المراجع الأجنبية

- Adams, B, More Surprises in the Locality HK6 Cemetery, in: *Nekhen News*, Vol. 11, 1999.
- Akarowhe, K., Traditional Medicine in Contextual African Society: On-Going Challenges, Open Access Journal of Oncology and Medicine, April 10, 2018.
- Aryton, E.R. and Loat, pre – Dynastic Cemetery at El mahasna, London 1911.
- Assina, R., Christina E. Sarris, B.S., & Antonios Mammis, A., The history of craniotomy for headache treatment Neurosurg Focus 36 (4): E9, 2014.
- Bahn, P. G., bow and errors, in: SteberglØkken, H., Berge, R., Lindgaard, E., & Stuedal, H. V., (edit.), ritual landscapes and borders within rock art research, Oxford, 2015.
- Berglund, A. I., Zulu Thought-Patterns and Symbolism, Uppsala 1976.
- D Forrest, R., Early history of wound treatment, *Journal of the Royal Society of Medicine,* Volume 75, March 1982.
- d’Huy, J., & Le Quellec, J., Du Sahara au Nil: la faible représentation d’animaux dangereux dans l’art rupestre du désert Libyque pourrait être liée à la crainte de leur animation, *Cahiers de l’AARS*, N° 13, 2009.
- De Flers, P., & Le Quelle, J., Prehistoric swimmers in Sahara, 2005.
- Dobanovački, D., Milovanović, L., Slavković, A., Tatić1, M., Mišković1, S.S., Škorić-Jokić, S., & Pećanac, M., Surgery Before Common Era (B.C.E.), *www.onk.ns.ac.rs/Archive* Vol 20, No. 1–2, July 2012, p.28.
- Ewis-williamts, D., Dowson, T. H., & Deacon, J., Rock art and changing perceptions of southern Africa’s past: Ezeljagdspoort reviewed, *Antiquity*, 67, 1993, pp. 273-91.
- Friedman, R.,” He’s Got a Knife! Burial 412 at HK43”, in: *Nekhen news*, Vol. 16, 2004.
- Godlove, H.I., The Earliest Peoples and their Colors, London, 2011.

- Greer, M., & Greer, J., ARARA Members Visit Rock Art of the Western Egypt Desert, *La Pintura*, Volume 34, Number 1, September 2007, pp.1-16.
- Gudger، E. W., "Stitching Wounds with the Mandibles of Ants and Beetles", in: *Journal of American Medical Association*, Vol.84, No.24, 1925, pp.1861-1864.
- Haidan Yuan, H., Ma, Q., Ye, L., & Piao, G., the Traditional Medicine and Modern Medicine from Natural Products, Molecules, 2016.
- Henshilwood, C. S., & Dubreuil, B., The Still Bay and Howiesons Poort, 77–59 ka: Symbolic Material Culture and the Evolution of the Mind during the African Middle Stone Age, *Current Anthropology*, Vol. 52, No. 3 (June 2011), pp. 361-400
- Hoppàl, M., shamans and symbols prehistory of semiotics in rock art, Budapest, 2013.
- Jolly, P., Therianthropes in San Rock Art, *The South African Archaeological Bulletin*, Vol. 57, No. 176 (Dec., 2002), pp. 85-103
- Kinahan, J., The Solitary Shaman: Itinerant Healers and Ritual Seclusion in the Namib Desert during the Second Millennium AD, Downloaded from https://www.cambridge.org/core. IP address: 41.182.62.102, on 24 Jul 2017 at 15:27:25.
- Lahelma, A., A Touch of Red: Archaeological and Ethnographic Approaches to Interpreting Finnish Rock Paintings, Suomen Muinaismuistoyhdistys ry - Finska Fornminnesföreningen rf The Finnish Antiquarian Society, *ISKOS*, 15, Helsinki, 2008.
- Lewis-WilIiams, D., Reality and Non-reality in San Rock Art, Witwatersrand, 1988.
- Lewis-WilIiams, D., Rock art and ritual: Southern Africa and beyond, Complutum, 5, 1994: 277-289
- Low, C., Khoe- San Ethnography, new animism and the interpretation of southern African rock art, *South African Archaeological Bulletin*, 69 (200), 2014, pp.164–172.
- Maggs, T., Cartographic Content of Rock Art in Southern Africa, in Woodward, D., & Lewis, T., (eds.), Cartography in

the Traditional African, American, Australian and Pacific Societies, Vol.2, Book 3, Chicago, 1998.

- Peters, L. G., Shamanism: phenomenology of a spiritual discipline, *The Journal of Transpersonal Psychology*, Vol. 21, No.2 115, 1989.
- Petrone1, P., Niola, M., Di Lorenzo, P., Paternoster, M., Graziano, V., Quaremba, G., & Buccelli, C., Early Medical Skull Surgery for Treatment of Post-Traumatic Osteomyelitis 5,000 Years Ago, PLOS ONE, DOI:10.1371, journal. pone.0124790 May 27, 2015, pp. 1-22.
- Podolecka, A., Sangomas, Shamans and New Age: The Hybridity of some Modern Healing and Esoteric Practices and Beliefs in South Africa, Rocznik Orientalistyczny, T. LXIX, Z.1, 2016, pp. 142-157.
- Shokeir, A.A., & Hussein, M.I., The urology of Pharaonic Egypt, *BJU International*, 84, (1999), 755–761
- Sirko, R., The Artist and the Shaman: Seen and Unseen Worlds, Inner Visions: Sacred Plants, Art and Spirituality, An Exhibition of Art Presented by the Brauer Museum, Luna, L. E., (Curated), Valparaiso University, 1989.
- Smith, C. D., Cartography in the Prehistoric Period in the Old World: Europe, the Middle East, and North Africa, in: Harley, J. B., & Woodward, D., (eds.), Chicago, 1987.
- Subbarayappa, B.V., The roots of ancient medicine: an historical outline, J.Biosci., Vol., 26 , No. 2 , June 2001.
- Suková, L., the rock art of northeast Africa: a case study of rock paintings from the Czechoslovak concession in lower Nubia, Theses to Dissertation, Charles University in Prague, Faculty of Arts, Czech Institute of Egyptology, 2014.
- Sutcliffe, J., & Duin, N., prehistoric health, in: A History of Medicine from prehistory to the year 2020, New York, 1992.
- TARA, the dawn of imagination, Rock art in Africa, Trust for African Rock Art, 2005.
- Thornton, R., The transmission of knowledge in South African traditional healing, *Africa* ,79/1, 2009.
- Wildgen, W., The Paleolithic origins of art, its dynamic and topological aspects, and the transition to writing, Contribution

to the workshop on semiotic evolution & the dynamic of culture Groningen (NL), 23rd/24th November, 2001.

- Zabihyan, S., Etemadrezaie, H., & Baharvahdat, H., The Origin of Cranial Surgery, in: *World Neurosurgery*, 74, (1), 2010, pp.4-13.
- Zabihyan, S., Etemadrezaie, H., & Baharvahdat, H., The Origin of Cranial Surgery, in: *World Neurosurgery*, 74, (1), 2010.